دراسات الأدب المعاصر، السنة الثامنة، شتاء ۱۳۹۵، العدد الثانی والثلاثون: صص **۹-۲۷**

دراسة مقارنة بين الروايات العربية والفرنسية المعاصرة من وجهة نظر الواقعية النقدية

پیمان صالحی *
مالک عبدی **
پروین خلیلی ***
افسانه جرست ****

تاریخ الوصول: ۹۵/۶/۷
تاریخ القبول: ۹۵/۹/۱۵

الملخص

ظهرت المدرسة الواقعية النقدية فی فرنسا وهی تقوم بالتعبير عن حقائق المجتمع. بما أنَّ هذه المدرسة برزت معالمها فی الرواية من جهةٍ، ومن جهةٍ أخری قد استخدم کلٌّ مِن *نجيب محفوظ* رائد الرواية المصرية الحديثة، و*رومان رولان* الراوی الفرنسی المعاصر، أسلوب الواقعية النقدية فی الأدب القصصی، لذلک فإنّ هذه الدراسة حاولت مستخدمةً المنهج الوصفی- التحليلی وعلی إطار المدرسة الأمريکية للأدب المقارَن، القيام بمعالجة تيار الواقعية النقدية فی روايتی «بين القصرين» *لنجيب محفوظ* و «جزيرة فی العاصفة» *لرومان رولان*. تمّت کتابة الروايتين الاثنتين بناءً علی أحداث مصر وفرنسا خلال سنوات۱۹۱۴ إلی ۱۹۱۹م؛ يعنی السنوات التی دارت فيها الحرب العالمية الأولی.

الکلمات الدليلية: نجيب محفوظ، رومان رولان، بين القصرين، جزيرة فی العاصفة، الواقعية النقدية.

* عضو هيئة التدريس فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ايلام، ايلام، ايران(أستاذ مساعد).
salehi.payman@yahoo.com
** عضو هيئة التدريس فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ايلام، ايلام، ايران(أستاذ مساعد).
*** ماجستيرة فی فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة ايلام، ايلام، ايران.
**** ماجستيرة فی فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة ايلام، ايلام، ايران.
الکاتب المسؤول: پيمان صالحی

المقدمة

ظهرت الواقعية فی فرنسا أکثر من أیّ مکانٍ آخر و کان مُنشئوها من الکتّاب المتوسطین غیر المعروفین. منهم *شان فلوری* الذی قام بإیضاح بعض المبادئ الأساسیة للواقعیة. فهو یری أنّ إمعان النظر فی الوصف والرغبة إلی الطبقة العاملة تعدّ من مهام الراوی مع أنّ نفسه لم یهتمّ بهذا الأمر، وکان یعتبره من المفاهیم الغامضة التی یمکن استخدامها بشکلٍ مألوف(غرانت، ۱۳۷۹: ۳۳). تعدّ الفترة الواقعیة فترة نقدیة؛ حیث قدّم الفلاسفة والکتّاب فیها آثاراً نقدیّةً حول التاریخ والمسائل الأخری؛ وإنّ الروایة فی غُضُون ذلک، تمتّعت بالأسبقیّة علی الآثار الأدبیة الأخری واحتلّت مکانة هامّة من حیث الکَمّ والکَیف(حسینی، ۱۳۸۷، ج۱: ۲۷۴). الواقعیة لیست شکلاً أدبیاً فحسبُ؛ بل لها اتّجاه إلی المستقبل وفنّانها کروح غیر مرئیة تمرّ فی ضواحی المجتمع(شیری، ۱۳۸۵: ۳۰۵).

فی رأی *فلوبیر*(۱۸۲۱-۱۸۸۰م): «یجب أن تختار الروایة طریقة العلم لنفسها» ویقول تین (۱۸۲۸-۱۸۹۳م): «الیوم لیس هناک بون شاسع بین الروایة إلی النقد ومن النقد إلی الروایة. فکلاهما یعتبر بحثاً ودراسة بشأن البشر»(سابق: ۲۷۷). یبادر الباحثون والکتّاب فی العهد الراهن أکثر من أیّ زمان آخر إلی خلق الآثار الأدبیة علی أساس هذه المدرسة الأدبیة.

یعتبر *رومان رولان ونجیب محفوظ* من أبرز الکتاب الواقعیین فی فرنسا ومصر، فهما مهّدا الأرضیة للکتاب الآخرین الذین یلحقون بهما. *فنجیب محفوظ* هو أدیب لا منازع له بین کبار الأدب العربی المعاصر وتکون قصصه انعکاساً حقیقیّاً للأزمة الإجتماعیة والسیاسیّة والنفسیة التی یُصاب بها المجتمع المصری فی القرن العشرین(میرزائی، ۱۳۸۲: ۷۵)، ومن أبرز خصائصه القصصیة هی الإعتماد علی أسلوب یمزج فیه مبادئ المدرسة الواقعیة التقلیدیة بالمدرسة الشخصیّة الحدیثة، حتّی ینتهی إلی تسمیة أسلوبه إثر اتّحاد هاتین المدرستین فی الأدب بـ"الواقعیة الشخصیة"(شلبی، ۲۰۰۴: ۱۶۹). کذلک *رومان رولان* کاتب فرنسی بعد أن شهد التوتّرات التی کانت قد بعثتها الحرب فی مجتمعه، یأمل دائماً الحصول علی التعاون الودّی مع البشر فیدعو فی آثاره الشعوب المختلفة إلی السلام والأخوة ویمنعها من الخوض فی الحرب.

أهمية البحث والسؤال المطروح فيه

بما أنَّ الأدباء المبدعين يلعبون دوراً كبيراً فی تطوّرات المجتمع الإنسانی إذ لا نجدُ أیَّ تغییر دون أرضية فكرية وثقافية فی المجتمع الإنسانی، ومن جهة أخری تُعَدّ الرواية ديوان البشر الجديد لأنها تمكنت من ترسيخ جذورها العميقة بالقاصين الموهوبين فی أنحاء العالم، لذلک فإنّ هذه الدراسة حاولت أن تقوم بالفحص عن روايتی «بين القصرين» *لنجيب محفوظ* و«جزيرة فی العاصفة» *لرومن رولان* مركزة مسار البحث علی وجهة نظر الواقعية النقدية، مستفيدة من المنهج الوصفی- التحليلی وفی إطار المدرسة المقارنة الأمريكية والإجابة علی السؤال التالی:

كيف رسمَ الكاتبان منهجهما الواقعی النقدی فی هاتين الروايتين؟

خلفية البحث

قد تمّت دراساتٌ بشأن الواقعية فی آثار *نجيب محفوظ* إلی حدٍّ ما، من ضمنها: «الواقعية فی روايات "مدير المدرسة" لجلال آل أحمد و"زقّاق المدق" لنجيب محفوظ»١٣٩٢، لأميد ايزانلو وحسن عبداللهی، مجلة اللغة العربية وآدابها، «تحليل الواقعية فی زقّاق المدق لنجيب محفوظ»، ١٣٩٢، *لحسن مجيدی وطاهره رستمی*، مجلة فصلية متخصّصة للدراسات الروائية، «مقارنة المدرستين الواقعية والرمزية فی آثار نجيب وأحمد محمود»، ١٣٩٢، تأليف *مهدی ممتحن وايران لک*، البحوث فی الأدب المقارن. كذلک قد تم بحث بشأن رواية «بين القصرين» *لنجيب محفوظ* بواسطة الدراستَين: «الدراسة المقارنة لعنصر الحدث فی رواية "بين القصرين" لنجيب محفوظ و"سووشون" لسيمين دانشور»، ١٣٩٣، من قِبل *زهرا شكاری وعلی اصغر حبيبی*، البحوث فی الأدب المقارن لجامعة رازی ومقالة «صورة المرأة فی روايتی "بين القصرين" و"شوهر آهوخانم" (زوج السيّدة آهو)»، ١٣٩٢، تأليف *ناصر نيكوبخت* وآخرين، المؤتمر السابع بشأن دراسات اللغة الفارسيّة وآدابها، كما أن هناک مقالة «المرحلة الإجتماعية فی روايات نجيب محفوظ»، ٢٠١٣، *لهيثم عباس سالم المويلی*، مجلة الآداب ذی قار؛ لكنّه وفقاً للدراسات المنهجية لم ينجز حتّی الآن أیّ بحث ودراسة خاصة حول رواية «جزيرة فی العاصفة»

لرومان رولان فإنّنا فی هذه الدراسة نقوم بالمقارنة بین هاتَین الروایتَین علی أساس الواقعیة النقدیّة.

نظرة عابرة إلی حیاة نجیب محفوظ ورولان ومکانتهما فی الأدب القصصی

وُلد *نجیب محفوظ*(١٩١١-٢٠٠٦م) فی القاهرة. فدخل عالم الأدب بواسطة تألیف القصیدة ثمّ أقبل إلی الکتابة. تمّ نشر أول مجموعة من قصصه القصیرة باسم «همسُ الجنون» وأول قصته الطویلة باسم «عبث الأقدار» سنة ١٩٣٩م(الشارونی، ٢٠١٠: ١٧٨). لثورة سنة ١٩١٩م دور کبیر وبارز فی أدب *نجیب محفوظ* حتّی أدّت إلی انتمائه إلی حزب «الوفد» المصری. هو فنّان سیاسیّ وفنّه یعبّر عن سیاسة شعبه المصری. قد تمّ تقسیم فترة الکتابة عنده إلی ثلاث فترات من ضمنها الفترة التأریخیّة(من خلال آثارٍ مثل عَبَثُ الأقدار، ورادونیس، وکِفاح طیّبة و...)، الفترة الإجتماعیة(من خلال خلق آثار بارزة مثل القاهرة الجدیدة، وخان الخلیلی، وزُقَّاقُ المَدَق، والثُّلاثیة و...) والفترة الذهنیة(من خلال خلق آثار مثل أولادُ حارَتِنا، والشحّاذ، واللِّصِ والکِلاب، والطریق و...). فروایة «بین القصرین» تعتبر کالقسم الأول من الأقسام الثلاثیة فی روایة «الثلاثیّة»، فقد تمّت کتابتها فی المرحلة الواقعیة الإجتماعیة والمرحلة الثانیة من فنّ کتابة الروایة عند *محفوظ*، ففی هذه الروایة یتبع أسلوب الکتابة الغربیة التی سادت فی القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرین. هذه الطریقة تسمّی بالمدرسة الواقعیة وإنّ *محفوظ* یصوّر فیها الأحداث الإجتماعیة والقیَم والاتّجاهات التی کانت موجودة لدی الطبقة الوسطی من الشعب المصری من سنة١٩١٧م وما بعدها. آثار *نجیب محفوظ* ملیئةً بخوالج البرجوازیة الصغیرة(الوضیعة) عند الشعب المصری واحتکاکات السلطة الحاکمة مع الشعب.

الفکرة الرئیسیة التی تجری فی روایاته هی الهویة والروح المصریة؛ فی الحقیقة أنّ مصر هی البطلة الأولی فی کلّ قصصه(أنظر إلی: أمنصور، ٢٠٠٦: ١٠٩-١١٠). حاز محفوظ علی جائزة نوبل فی الأدب سنة ١٩٨٨. وأمّا *رومان رولان* فولد سنة ١٨٦٦م بمدینة "کلامسی" لمنطقة بورغندی فی أسرةٍ برجوازیة مترفة. وفی أیّام المراهقة تَعرَّفَ علی آراء *باروخ سبینوزا*(١٦٣٢-١٦٧٧م). واصل دراسته فی فرع التاریخ سنة ١٨٨٩م. فذهب إلی روما وحاز علی شهادة الدکتوراه فی فرع الفنّ. بعد الحصول علی درجة

الدكتوراه وفی سنة ١٩٢١ قام بتعليم تاريخ الفن لمدّة ثلاث سنوات فی المدرسة العالية ومن ثَمّ قام بتعليم تاريخ الموسيقی فی جامعة سوربون لمدة قصيرة، ومن هنا أقبل علی الكتابة فكتب رواية «جان كريستوف» فی ١٠ مجلدات خلال ثمانی سنوات(أنظر إلی: مدنی، ١٣٦٣: ١٧-٣٠). *رومان رولان* كان رجلاً محباً للسّلام. لبّی دعوة *مكسيم غوركی* فذهب إلی السوفييتی ولاقی *استالين*، ورغم نزعته إلی آراء *ماركس*، قام بنشر العديد من المقالات ضدّ *استالين* والنظام السوفياتی. فإنّه حاز مرة أخری علی جائزة نوبل فی الأدب سنة ١٩١٦(بوادفر، ١٣٧٦: ٢٦-٢٧). قام *رومان رولان* بتسجيل ونشر السيرة الذاتية للعديد من مشاهير العالم مثل *ليو تولستوی*، *مايكل أنجلو*، *لودفيج فان بيتهوفن*، *أماديوس موزارت*، *هيكتور بيرليوز* و*ريتشارد فاغنر*. إضافةً إلی رواية «جان كريستوف» من *رولان* قد ترجم بعض آثاره إلی اللغة الفارسية مثل «حياة بيتهوفن» فی أربعة مجلدات، «الموسيقيون فی الأيام السابقة»، «موسيقيو اليوم»، «مسرح الشعب»، «حياة تولستوی»، «الرحلة الداخلية» وكذلک «النفس المسحورة». مات *رومان رولان* إثر إصابته بمرض السل فی الثلاثين من ديسمبر سنة ١٩٤٤(مدنی، ١٣٦٣: ١٨١).

نبذة عن رواية «جزيرة فی العاصفة»

يعلن *رومان رولان* فی هذه الرواية الغرامية آرائه المناهضة علی الحرب وخلاله يعرض الأجواء والملابسات السائدة فی فرنسا طوال الحرب العالمية الأولی. يمثّل فيها "بی‌ير" و"لوس" فهما الشخصيّتان الرئيستان فی هذه الرواية التی تسرد عن طريق أسلوب عارف الكل. *بی ير* شاب يبلغ من عمره ثمانية عشر عاماً نشأ فی أسرة دينية. فوالده قد حلّ مقام الحكم والقضاء وأخوه الأكبر *فيليب* يذهب طوعاً إلی ساحة المعركة. عدوان قوات الاحتلال وقتل الأبرياء ينتهی إلی سيطرة الاكتئاب واليأس علی نفس *بی ير*؛ لكن حبّه إلی بنت تسمّی *لوس*، يؤدّی إلی تقلّب نزعاته. *لوس* تعيش فی الفقر وتحصل علی لقمة عيشها مستفيدة من فن الرسم. وأمّها تعمل فی مصنع الأسلحة. فتتزوّج رجلا آخر بعد وفاة زوجها وهذا الأمر يؤدّی إلی أن تغضب *لوس* علی أمّها. يبقی *بی ير* و*لوس* علی حبّهما الطاهر ويوم "الجمعة العظيمة" يذهبان إلی كنيسة "نوتردام" فيقومان بإجراء مراسيم الزواج. بين تارةٍ وأخری تنفجر قنبلة بالقرب منهما فيموت إنسانٌ إثر القنبلة أو تارة ينهار

مَبنَی؛ لکن کلّ هذه الأحداث لا تؤثّر علی الجو الروحی والرومانسی السائد بینهما. وبعد دقائق تهزّ الکنیسة فجأة إثر وقوع انفجارٍ یصم الآذان. وبعد حینٍ یسقط عمود الکنیسة الثقیل علی *لوس* و*بی یر* وتنتهی حیاتهما.

نبذة عن روایة «بین القصرین»

تمثل هذه الروایة حیاة الأسرة التقلیدیة فی مصر خلال سنوات ١٩١٩-١٩١٧م؛ یعنی السنوات الأخیرة من الحرب العالمیة الأولی. فهذه الروایة تسرد أیضاً کروایة «جزیرة فی العاصفة» *لرولان* عن طریق أسلوب عارف الکل. تکون الشخصیات والأبطال فی روایة محفوظ من أفراد هذه الأسرة فتشتمل علی *أحمد عبدالجواد*(والد الأسرة) وزوجته *أمینة* وأبنائه *یاسین*، و*فهمی*، و*کمال* وبناته *خدیجة*، و*عایشة*. الشخصیات الثانویة تشمل *أمّ حنفی* خادمة الأسرة و*أمّ مریم* إحدی الجیران وبنتها *مریم*، *زینب* زوجة *یاسین*، زوج *شوکة* المتوفیة وأصدقاء *جواد*. ففی زمن السرد یکون والد الأسرة صاحب المتجر وله شخصیة مزدوجة فیبدو تارةً رجلٌ ملتزم بالأسرة ومع ذلک یبدو رجل متهتّک تارة أخری. فهو یسیطر علی أسرته عن طریق قوانینه الصارمة. *فیاسین* وهو الابن الأکبر للأسرة یکون رجلاً بشوشاً وشهوانیاً کأبیه ویرضی من شخصیة أبیه المتهتّکة. فلا یتوب من ذنوبه ولا یقصّر من أخطائه لأنّه یخاف أن تُستجاب دعوته فیتحوّل إلی رجل زاهد غیر محبّ للحیاة ولا یرید الاستمتاع بها! فتمتّعت زوجته *زینب* فی منزل أبیها بالمزید من الحریة. مع أنّها کانت قد طاوعت علی الوضع کسائر أفراد الأسرة بعد أن تعیش فی منزل *السیّد أحمد* لمدّة شهر واحد لکنّها لا تستطیع أن تصبر علی کلّ شیء یحدث. فإنّها لا تستطیع أن تتحمّل سلوک *یاسین* ولا ترضی سلوکه بالنسبة لنفسها.

فهمی یعدّ الابن الثانی للعائلة وهو طالب فی کلیة الحقوق ویکون رجلاً ملتزماً، ورزیناً، وراغباً فی السیاسة ویتورّط فی النضالات القومیة ضدّ الاستعمار البریطانی أکثر من الآخرین ومن أجل هذا یلقی حتفه فی نهایة المطاف. *کمال* وهو الابن الأصغر للعائلة یقضی بعض مضایقات أبیه بواسطة بعض تصرّفاته الطفولیة. تعیش البنات فی عزلة تامّة ولا تستطیعان أن تذهبا إلی الأماکن العامّة. فإنّهما تنتظران أکبر حلمهما وهو الزواج. فی هذه الروایة یستمرّ حضور القوّات المتمرّدة الأجنبیة التی تشمل علی قوّات التحالف ممثلة بالقوّات الاسترالیة والإنجلیزیة. فالجیش الإنجلیزی قد قام برفع المعسکرات أمام منزل

جواد لقمع المظاهرة التى قد توسعت نطاقها إلى جميع أنحاء القاهرة. مع أنّ كلّ أفراد العائلة يرغب عن الإنجليزيين لكن ردود فعله تختلف بالنسبة إلى هذه القضية اختلافاً تامّاً.

القضايا الهامة المنعكسة فى الروايتين من وجهة نظر الواقعية النقدية

انعكاس آثار الحرب العالمية الأولى على الظروف السياسية- الإجتماعية فى فرنسا ومصر

للحصول الصحيح على الأحداث السياسية- الإجتماعية للرواية المذكورة، علينا أن نتأمّل فى ظروف الحرب العالمية الأولى. كان التنافر بين دولتى ألمانيا وفرنسا من الأسباب الرئيسيّة والمؤثرة على ظهور الحرب العالمية الأولى التى تمّ وقوعها خلال سنوات ١٩١٤-١٩١٨م(أنظر إلى: باقرى، ١٣٩٤: ٧-١٠). فقام *رومان رولان* بكتابة رواية «جزيرة فى العاصفة» وفقاً لهذه الأحداث مع أسلوب واقعى سنة ١٩٢٠م. بما أنّه قد شهد الأحداث الدامية التى بعثتها الحرب العالمية، فقد صوّر الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية والإجتماعية المتدهورة فى هذه الرواية. لأنّه فى هذه السنوات «تأثّر الأدب الفرنسى بالحرب وكان يقوم مشاهير الكتّاب بخلق قصص بشأن الحرب والعودة من الحرب وكانوا يدعون الناس إلى السلام»(انظر إلى: بوادفر، ١٣٧٦: ٣١-٣٢). فهو يقوم بتقرير الغارات الجوية المتتالية من قِبل القاذفات الألمانية ضدّ فرنسا إلى القارئ: «أُطلقت هتافات داخل العربة خوفاً وكراهية: جاءت طائرات غوتا!...»(رولان، ١٣٦٣: ١١-١٠). يشير *رولان* إلى أنّ الحرب تخضع حياة الشعب الفرنسى لِلتغييرات الجذورية والأساسيّة فى كلّ جوانبها حتّى تنتهى إلى إغفالهم القيود الأخلاقية: «استمرار الحرب لمدّة ثلاث سنوات كان قد أدّى إلى سيادة الفجور الأخلاقية بين الأوربيين، الأمر الذى كان يتسرّب فى أنبل النفوس»(نفس المصدر: ٩٠).

قام *نجيب محفوظ* بكتابة رواية «بين القصرين» وكادت الحرب أن تنتهى، ففى هذه الأثناء، كانت مصر من جهةٍ على وشك الإنهيار إثر التوتّر الإقتصادى، ومن جهة أخرى كان أبناؤها يجهدون ويجدّون فى الصعيد السياسى. فاتّجهت البعثة المصرية من قبل حزب الوفد إلى الإنجليز لطلب إعلان الاستقلال؛ لكن إنجليز رفضته وقامت بنفى سعد *زغلول* زعيم هذا الوفد إلى جزيرة مالطا. اشتملت المظاهرات والإحتجاجات والإضرابات

جمیع أرجاء البلاد ونتیجةً لذلک، تمّ تحریر هذا الزعیم السیاسی الوطنی: «ذاعَ بین الطلبة نبأ عجیب کان حدیثنا الیوم کلّه وهو أنّ وفداً مصریّاً مُکونّاً من *سعد زغلول باشا* و*عبدالعزیز فهمی‌بک* و*علی شعراوی باشا* توجّهَ أمسَ إلی دارِ الحمایة وقابل نائب الملک لِلمطالبة بِرفع الحمایة وإعلان الإستقلال»(محفوظ، ١٩٩١، ج٢: ٤٨٧). کذلک قد صوّر *نجیب* الاحتجاجات والمظاهرات بشکلٍ فنّی: «وسارت المظاهرة مسیراً مشهوداً مارّة بدور المعتمّدین السیاسیّین معلنة احتجاجها بمختلف اللّغات، حتّی بلغت شارع الدواوین... وصاح صائحهم:"الإنجلیز!"»(سابق، ج٢: ٥٠٦) وصلت المظاهرة إلی جامعة الأزهر حیث تؤدّی إلی الإضراب الوطنی الشامل: «ثُم ترامی إلیهم وقع أقدام مقبلة فی سرعة وصخب، ثُم فتح الباب علی مصراعیه تحت وقع صدمة عنیفة واندفعت إلی الحجرة جماعات من الطلبة والأزهریّین... وهُم یَصیحوُن: إضراب!... إضراب!...»(سابق: ٥٠٩). فما کانت هذه الإحتجاجات والإضرابات ضدّ الإنجلیز فقط بل تشمل أیضاً ضدّ البلدان الأخری مثل ألمانیا وأسترالیا التی کانت تضیّق الخناق علی الشعب المصری بواسطة تدخّلها. حتّی أصیبت شخصیّات الروایة بالبلبال واختلاج الفکر إثر الصراعات السیاسیّة ولا تعرف هل یحصل شعبها علی الانتصار؟ حیث یتحدّث *عبد الجواد* فی أثناء محاورته مع زوجته عن سیاسة شعبه: «- متی؟!... متی؟!... عِلم هذا عِند ربّی.. ما نقرأ فی الجرائد إلّا عن انتصاراتِ الإنجلیز، فهل ینتصرون حقّاً أو ینتصر الألمان والترک فی النهایة؟ اللّهُمّ استجب...»(المصدر السابق: ٣٣٣). علاوةً علی هذا، فقد صُوّرت عداوة الجنود الأستراللیین أیضاً. فیکشف عبدالصمد عن جریمتهم أثناء الحوار مع *صدیقه عبدالجواد*: «کنتُ بِالأمسِ سائراً فی الموسکی فَاعترض سبیلی جُندیّانِ أستراللیّان وطالبانی بِما معی...»(السابق: ٣٤٦).

فروایة بین القصرین بالنسبة إلی خلفیتها التاریخیّة تشیر إلی ثورة أکتوبر ١٩١٩م فی روسیا التی بلغت صداها وتأثیرها إلی البلدان الأجنبیة وتنتهی إلی یقظة الشعوب إزاء قضیة الحرّیّة، الإصلاحات والتعدیلات وحقها فی تقریر مصیرها. فی بدایة الأمر یعلن الاتحاد السوفیتی عن دعمه للاستقلال السیاسی فی البلدان الأخری. فکثرت فالانتهاضات الشعبیة بسبب دعم الإتحاد السوفیتی عنها وتمّ تأثیر إیدیولوجیة الدولة فی الإتحاد السوفیتی علی عقلیة العدید من المثقفین المصریین فإثره تمّ تشکیل الحزب الشیوعی

المصرى سنة ١٩٢٢م(محمّد سعيد، ١٣٧٨: ١٣٥). كذلك يزفّ نجيب انتصار الثورة بواسطة إحدى شخصيات قصته: «لو لم يسلّم الإنجليز بِمطالبنا لما أفرجوا عن سعد، سوف يُسافر إلى أروبا ثُّم يعود بِالاستقلال، هذا ما يؤكدهُ الجميع، ومهما يكن من أمر فسيبقى يوم ٧ أبريل سنة ١٩١٩م. رمزاً لانتصار الثورة»(محفوظ، ١٩٩١، ج٢: ٥٦٨).

الانتقاد للحرب والدعوة إلى السلام

لَمّا كان الاستعمار والحرب لا يُنتجان سوى التدمير وقتل الأبرياء، ففى هذه الرواية كان *رولان* فى حالة مرتبكة يبحث عن إنسانيّةٍ تعرب عن وفائها للأخوّة. فهو يدعو الناس فى العالم كلّه إلى أن يتّحدوا و يرُصّوا صفوفهم ويوحّدوا كلمتهم مع السلام حتّى تنتهى الحرب. «كان يشاهد *رولان* بأم عينه أنّ أصحاب الصناعات الكبيرة كانوا يصرّون على مواصلة القتال واندلاع الحرب. فإنَّه قام بمكافحتهم آملاً الحصول على السلام؛ فيطلب من المثقّفين كلّهم أن يأخذوا بحقّ المظلومين ويقوموا بنجدتهم»(مدنى، ١٣٦٣: ١١٠).

قام *رولان* فى روايته برواية حادث وقع يوم الجمعة ٢٩ من شهر مارس سنة ١٩١٨م بطريقة الواقعية وينتقد الذين أوقَدوا ناراً الحرب والدمار بشدّة. ففى تلك الأيّام التى كانت تدور رَحى الحرب وكانت تجتاح أقوى النفوس، وقع حدثٌ فى فرنسا، فإثر اقتحام ألمانيا «قاذفة ألمانية دمّرت كنيسة سان جربه فى باريس وقتلت حوالى ١٦٥ نفراً حين إجراء الإحتفالات الدينية»(مدنى، ١٣٦٣: ١١٥). يقدّم *رولان* فى هذه الرواية ووفقاً لأسلوبها، تصميماً مسايراً للوفاء من الحياة اليومية لشعبه البائس. تبدأ القصة من يناير وهى مصحوبة بوصف الجو المأساوى والمتوتّر السائد على بطل القصة؛ لأنّ الحرب مدمرةً، تنشر الحتف، تسفک دم آلاف من الأبرياء، تفرّق بين العشّاق والأحبّاء وتقتلهم:

«على رأسه، وراء ظلام هذه السقوف، فوق عش الجرذان الذى كان ينطلق فيه هذا العملاق الحديدى الملىء بأشباح الإنسان. هنا باريس، الثلج، الليلة الباردة فى يناير وأخيراً الحرب هذه كابوسة الموت والحياة. الحرب التى كانت تتجاوز أربع سنوات من نشوبها وتمزج مراهقة بى ير بالألم. فإنّ الحرب كانت قد فاجأه فى معمعة تلک الأزمة النفسيّة وسن البلوغ»(رولان، ١٣٦٣: ٧-٨). علاوة على هذا، فإنّ *رولان* فى هذه الرواية يحكى عن الآلام التى يُصاب المدنيون بها إثر الحرب: «كذلک كانت تستمرّ شرارات الحرب المشؤومة

مثل الأيّام... . صوت هذا الهدير المتزايد الهائل، كان يُسمع صوت اصطدام سلاح الملايين من الأعداء الذين كانوا قد تجمّعوا منذ الأشهر الماضية بجانب آخر من الخنادق وكانوا قد جاهزوا حتّى يتدفّقوا كموجة هائلة على باريس وضواحيها»(رولان، ١٣٦٣: ٨٩).

فعندما ينتقد *رولان* الحرب ويدافع عن السلام، يُهدَّدُ بالقتل من قِبل فئةٍ كانت راغبةً باندلاع الحرب وبقائها. فهو يصوّر هذه الأحداث بشكل واقعی فی زمنٍ لا يُسمَح لأحدٍ من الكتّاب أو الأدباء بأن يكتبوا حول إحلال السلام: «قام كثير من الشباب بنشر مجلّات قد حُجِزَت بعد مدة قصيرة. فإنّ التعتيم كان يخلق الفراغ ويسجن كلّ العقائد والآراء فی فرنسا تحت غطاءٍ فاقد الهواء»(السابق: ٢٠). فالاحتجاج على بربرية ألمانيا من قِبل *رولان* انتهى إلى أن اعتبره خائناً فقام بنشر كتاب «ذكريات الحرب» سنة ١٩٥٣حتّى يبين عن أفكاره ويساعد على فهم آرائه بشكلٍ مؤثّر. فهو كان متأثراً ومحزوناً بسبب اندلاع الحرب بين الشعوب المتحضرة فكان يذكر القيم التی بإمكانها أن تساعد على الصّلة بين أشخاص كانوا هادئين غير منفعلين على جانبی خط المواجهة ويخطر الأخوة على بالهم، الأخوة التی كانت على شَفا جُرُفِ الانهيار بسبب أزمة الحرب الهائلة»(بوادفر، ١٣٧٦: ٢٧-٢٦).

وأمّا *نجيب محفوظ* فيجنح طائر قلبه إلى السلام أيضاً؛ فينظر إلى الحرب والإضطرابات منتقداً ويقتبس آرائه بشأن الحرب فی قول *أحمد عبدالجواد* كأبی العائلة والشخصية الرئيسة للرواية: «أوصى بعض التجّار من معارفهِ على شِراء خزين البيت مِن السَمن والقَمح والجُبن، وجعل يحمل على ارتفاعِ الأسعار واختفاء الموادّ الضروريّة بِسبب هذهِ الحرب الّتی تطحن العالم منذُ ثلاثة أعوام، وكَعادته كلّما ذكر الحرب اندفع يَلعن الجُنود الأستراليّين الّذين ينتشرون فی المدينةِ كَالجَراد ويعيشون فی الأرضِ الفساد»(محفوظ، ١٩٩١، ج٢: ٣٣٢). فهذا القول يدلّ على الأزمة الاقتصادية والفقر علاوة على التعبير عن الجو المتوتّر فی مصر بسبب الحرب والصراع. فيدعو *نجيب* مثل *رولان* إلى السلام أيضاً: «تُری أیّ نحس فی هذهِ الأيّام يأبى إلّا أن يُبيَّنهُم بنبأ ويصبحّهم بنبأ حتّى زلزل أمنهم وكدّرَ صفوهم؟! كم تتمنّى أن يعودَ السّلام إلى ربوعهِ»(نفس المصدر: ٥٠٣).

كان *نجيب* معتقداً بأن الإنجليز هو السبب الرئيس فی اندلاع الحرب والتدمير فی مصر: «أعلنت إنجلترا حمايتها من تلقاء نفسها دون أن تطلبها أو تقبلها الأمّة المصريّة، فهی حماية باطلة لا وجود لها قانوناً بل هی ضرورة من ضرورات الحرب تنتهی بنهايتها»(نفس

المصدر: ۴۹۸). قد انتظم الكثير من المظاهرات والمسيرات الحاشدة ضدّ الإنجليز فی الرواية من قِبل الطلاّب الوطنيين فی الجامعة. فإنّهم يطلبون وضع حدّ لاستعمار دولة الإنجليز.

انعكاس الأزمة البورجوازية فی المجتمع

يدعونا *رولان* فی روايته إلى التفكّير فی هذا السؤال: من هو المسؤول عن وفاة *بی‌ير ولوس* وآلاف من الأبرياء الآخرين؟ فالكاتب يعبّر بوضوح عن أنَّ العامل الرئيس لجميع هذه الآلام والكوارث والإضطرابات هو نكبة بورجوازی الكبيرة: «العواء الخفيف لهذه المدفعات، الحرب الشاملة، الكارثة الكبيرة، نعم! فلهذا البوجوازی الأنانی وقصير النظر وقسوته وبربريته فی جميع هذه الحالات، مسؤولية كبيرة واليوم، (وكان عادلاً) أنّ شيطان محررة لن تتوقّف عن الحركة طالما لا تبتلع نفسها»(رولان، ۱۳۶۳: ۶۷). فهذا البورجوازی هو الذی تندلع الحروب بواسطة أنانيته وقصر بصره وقسوته، فيقوم بإشعالها ويربح منها لصالح نفسه(مدنی، ۱۳۶۳: ۱۱۷). ما كان يكفی *رولان* بعرض صيغة اجتماعية بل كان يطلب أن ينتبه كلّ الأشخاص إلى عمق الكارثة وفقاً لمستوى وعيهم وأن يفكّروا فيها ويحكموا عليها. ففی رأی *رولان* أنّه لا يطلب الشباب من قبيل *بی‌ير ولوس* أن يصابوا بمصيرهما بل إنّهم يهربون من الحرب وكارثتها المأساوية ويدعم كلّ منهم الآخر فی مواجهة الأحداث الرهيبة. فيعرّف *رولان* هذا الجيل بجيل الإحباط والفشل: «فإنّهم لا يمتلكون أیّ شیءٍ من الطموح والآمال والكراهيات من الجيل السابق وكانوا يشاركون فی المباراة الهمجية»(رولان، ۱۳۶۳: ۲۰).

نجيب محفوظ أثناء وصف الازدواجية الشخصية عن بعض أبطال روايته يصوّر فی الحقيقة ازدواجية الإيديولوجی عند بعض أشخاص المجتمع بالنسبة إلى استعمار شعبهم بيد بريطانيا. فهؤلاء الأشخاص ينتمون إلى الطبقة البرجوازية نذكر على سبيل المثال شخصية *أحمد عبدالجواد* وسيطرته على عائلته. «كان وحياته متأثراً عن الأمور المتباينة مثل شذوذ جنسی والرغبة فی إقامة العادات الدينية»(محمّد سعيد، ۱۳۷۸: ۱۴۳). فهذه الازدواجية فی شخصيته نتيجة انتمائه إلى الطبقة البرجوازية فتظهر خلال جشعه الشديد إلى الحفاظ على سرية الجانب الفاسد من حياته والتجاهر بعزمه الثابت فی وجه أقاربه.

فلایمکن أن یفترض هذه الشخصیة فی صورة مجاهد وطنی یبذل حیاته فی سبیل اعتقاده. *أحمد عبدالجواد*(أبو العائلة) هو رمز فکرة الهیمنة وسیطرته علی أسرته ترمز بالهیمنة البریطانیة علی مصر، الهیمنة التی کانت تنتهی دائماً إلی الإضطراب والفوضی.

انعکاس الاستعمار والإضرابات الناجمة عنها

من جملة تأثیرات استعمار السلبیة التی یعبّر عنها کلا الکاتبین *نجیب* و*رولان* فی هاتین الروایتین، یمکننا أن نشیر إلی اضطراب المجمتع الذی واجهته الأمة. فکلّ هذه الآلام نتیجة الاستعمار الذی کان قد سیطر علی البلدان المستعمرة الأخری لا مصر وفرنسا فقط. روایة «جزیرة فی العاصفة» هی انعکاس وضع شعب مصاب بالحرب والاستعمار والأزمة النفسیة للأشخاص طوال الحرب العالمیة الأولی: «کان قد بدأ هجوم کبیر من قِبَل ألمانیا قبل یومین. فنطاقه کان یمتدّ ضمن مائة کیلومترات، تقریباً فرعشة مستمرّة کانت تؤثّر علی المدینة. فتفجیر کورنو کان قد هزّ باریس مثل زلزالٍ؛ صفارات الإنذار المتواصلة التی کانت تخلّ بالنوم وتنهاک الأعصاب ومن جهة أخری مقاطعة السم کأنّها من کوکبٍ آخر کانت تطلق الحتف بأناة. فکان الناس یلجأون إلی الملاوذ لأنّهم یظنون أنّ إطلاق الرصاص الأول هو صدی انفجار القنبلة»(رولان، ١٣۶۴، ص٩۶). مصیر باریس إزاء الاستعمار «قبل خمسة عشر یوماً حتّی الآن، إنّهم لا یعلمون ما حدث فی العالم. فی باریس یمکن أن یقام بقبض الناس بالعنف ویُحکم علیهم بسهولةٍ فالجیش الآلمانی کان یستطیع أن یبادر بالعمل وفقاً للعقود التی یتمّ توقیعها أم خلافاً لها. کانت البلاد الأخری بإمکانها أن تقول ما تشاء من الأکاذیب، الصحافة بإمکانها التهاتر والجیوش بإمکانهم القتل...»(السابق: ٧۵).

یظهر الاستعمار فی قصة *نجیب محفوظ* بکِلتا حالتیه الحداثة، والظلم، والطغیان، والمواطنون یحاولون إخراجَ الجیش الإنجلیزی من مصر، وکذلک الخلاص من الظروف المتأزّمة المشرفة علی المجتمع والحصول علی الأمن والراحة. یتحدّث *نجیب* عن آثار الاستعمار المختلفة التی ترکت علی عقائد وأفکار الجمهور؛ لأنّ فئة منهم تعمد إلی أنشطة بشأن هزیمة العدو إزاء استعمار بلادها وتخوض فی ساحة العراک؛ لکن المتأثرین من ثقافة وعوامل هیمنة الاستعمار، یطالِبون بالتغییر والحداثة وینفِرون عن ثقافتهم

المحلية؛ مثل شخصيّة *ياسين* وما مضى عليه. فهو يعدّ كنائب الأشخاص الحداثيين والذين أثّرت ثقافة الغرب عليهم. لكن على العكس، تبدأ فئة أخرى الاحتجاجات والمظاهرات الحاشدة من جانب طلّاب جامعة الأزهر ضدّ الظروف المتأزّمة الحالية وتواجد السفراء الإنجليزيين فی مصر: «*والمستر إيموس* نائب المستشار القضائیّ الإنجليزی لِوزارة الحقّانيّة يشقُّ طريقَه بين جموعهِم فقابلوهُ بهتاف واحد: لتسقط الحماية... لتسقط الحماية...»(محفوظ، ١٩٩١، ج٢: ٥٠٥). كذلک فلم يسكت الطلاب الغاضبون فی هذه الأثناء، فإنّهم يردّون على سفيرٍ يتلقّى تسوية المسائل يكون عمل آبائهم بهذا الشكل: «إنَّ آباءَنا قد سُجنوا، ولن ندرس القانون فی بلد يداس فيه القانون»(السابق: ٥٠٥). فإنّهم يقاتلون الظلم والطغيان: «وتعالى الهتاف لِمصر والإستقلال وسعد، وكلّما تقدّموا خطوة ازدادوا حماسة وثقة وإيماناً...»(السابق: ٥٠٥).

ظاهرة الحبّ والخيبة فی الروايتين

إنّ الشخصيتين الرئيستين فی رواية *رولان* شابّان مغرمان يجرّبان فی ظلّ الحبّ عالماً حلواً: «كان قد تمّ إحياء الغد فی قلبهما. فإنّ الغد وجدهما جالسين بجانب إلى النافورة وكذلک الأيام التی جاءت إثره. فيجری هواء عليلٌ خلال هذه اللقاءات القصيرة التی كانت تطول كلّ يومٍ إلى حدّ ما»(رولان، ١٣٦٣: ٤١)؛ لكن هذه الحالة لم تستمرّ لهما حيث قُدّرت لمصيرهما نهاية مأساوية بسبب الاضطرابات والحرب والأجواء السائدة المتأزّمة على فرنسا. القنابل الألمانية التی سقطت على الكنيسة، اختتمت أحلامهما. فإنّهما يترقبان يوم الجمعة الموعودة ليذهبا إلى كنيسة نوتردام ويحتفلا بعقد زواجهما هناک لكنّه فی أثناء المراسيم: «هزّ عمود كبير كانا قد إتكئا عليه وبدأت الكنيسة كلّها تهزّ من القاعدة... فإنّ لوس التی تخفی نبضات قلبها الذی يخفق بشدة إثر صوت الإنفجار وصيحات الجمهور، قفزت بجانب *بيير* فی حين سقط ذلک العمود الهائل على رأسهما فجأةً»(رولان، ١٣٦٣: ١٣٠). حياة الزوجين الشابين تمثّل حياة الشعب الفرنسی تمثيلاً تامّاً، و*رولان* من هذه الزاوية يقوم بتصوير الخوف والتدمير والظلم والظلام الذی يُصاب به شعبه طوال الحروب العالمية. *فرولان* قد قام بتصوير الحرب والتدهورات فی رواية رومانسية. يعتبر هذا الحبّ الفاشل بين الشابين رمزاً للسلام والصداقة بين الشعب وكذلک أنّ الحرب رمزاً عن القسوة

والفظاعة. *رولان* مع الإستيحاء من الموضوعين(الحب والحرب) قد شكل محتوى قصته وغرضه الدعوة إلى السلام وانتهاء الحرب.

شبّه الكاتب الحب بميناء حين كان البحر ريّحاً وفانوس فی ليل مظلم فهو يلجأ البشر: «وإن لم يزوره من جديد مرّة أخرى، فكان عليماً بكونه وكان يعلم أنّه(الحبّ) هو نفس العشق. ميناء خلال العاصفة، فانوس فی الليل... يا أيها الحبّ ابق لدينا حينما على وشک الموت...»(رولان، ۱۳۶۳: ۳۰). فيحسّ أبطال الرواية حرارة الحبّ علاوةً على الفناء والحتف: «كان يضاف أيضاً إلى إعجاب فكره شيئاً آخر وهو ولادة الحب تحت ظلّ الموت فی لحظات القلق، اللحظات التی كانا يشعران فيها بتهديد القنابل فوق رؤوسهما والصور الدموية للجثث المشوّهة كانت تعذّب قلوبهما لكن أيديهما كانت قد عثرت على الآخر»(السابق: ۲۸).

يعتبر *رولان* الحربَ أنها تتسبّب فی فناء الحبّ والمودّة فی البيئة المصابة بالحرب: «كانا يمشيان فی الظلام وكان قد اتّكأ أحدهما على الآخر ويبكيان ببطء حبّاً. كان يرفع صوت شظية الزجاج تحت أقدامهما ببطء وكان الدم متدفقاً على رصيف الشارع. وقد ترصّد الحتف والظلام حول حبّهما»(السابق: ۹۳). كذلک فی رواية «بين القصرين»، *فهمی* وهو رجل ثوروی مع التطلّعات الوطنية، يفشل مثل شخصية *بی‌يِر* فی وصوله إلى المحبوب ويبذل نفسه فی سبيل اعتقاده وهو حبّ الوطن. ففی هذه الحالة أنّ الخوف بسبب حالة غير ملائمة ورجعية الأب الخاطئة أيضاً يفوق على الحبّ. *فنجيب* قد رمز عن سلطة الأب وتشدّده بهجوم الجيش البريطانی على مصر وكما يفوق سلطة الأب على حبّ فهمی بسبب كرهه ومخالفته على هذا الحبّ، فهجوم الجيش البريطانی يفوق أيضاً على المجتمع المصری مهما أنّ الحبّ يجتاز هذه العوامل: «ولكنّ استهانة الحبّ بِالمخاوف عجب قديم، فلم يقدر شیء منها على إفساد نشوتة أو انتزاعه من حلم ساعته»(محفوظ، ۱۳۷۸، ج۲: ۳۵۵).

لكن أبا *فهمی* كان معارضاً وصوله إلى محبوبه، بل كان يخالف حبّ الوطن والذهاب إلى ساحات مكافحة الظلم لئلّا يفقده لكن فهمی يبذل نفسه للوطن فيموت شهيداً فی سبيل الوطن. *فهمی* يكون رمزاً لرجل مناضل وشجاع و*ياسين* يكون رمزاً للطبقة المترفة والمتهتّكة فی المجتمع المصری، الأشخاص الذين لم يردّوا الفعل بالنسبة إلى استعمار

شعبهم. حبّ الوطن قد اندمج فی وجود فهمی: «تحدوه فی الحالینِ أسمی العواطف وأفظعها، حبَّ قومهِ من ناحية والرغبة فی التقتيل والإبادة من ناحية أخری»(السابق: ٥٢٢).

بناء الشخصيّة فی الروايتين

يقدّم الكاتبان فی الروايات المذكورة صورةً عن فترة تتعلّق بطبقة معينة عن طريق خلق الشخصيّات؛ لأنّ شخصيّات القصة تعتبر عنصراً هامّاً والكاتب يصل إلی هدفه مستعيناً بها؛ يعنی انعكاس الظروف والتقلّبات الخاصّة لفترةٍ معينة، وهم أشخاص يحضرون فی القصة حضوراً بارزاً. كلّ بطلٍ بإمكانه أن يكون نوعاً خاصّاً من الناس ومن الطبقة التی ينتمی إليها. فالكاتبان فی رواياتهما العربية والفرنسية وعلی أساس الواقعية، لم يختارا أبطالهما بشكل شخصية خاصة أو غير مألوفة بل اصطفياهم من الناس الذين ينتمون إلی المجموعات الاجتماعية والثقافية وكانوا يلمّون بالأحداث التی وقعت حولهم. كلا الكاتبين يبيّن أهدافه وقد خاض فی تعبيره عن انطوائية الشخصيات وتحليلها النفسی، فقد عكَسَ عواطفها وأحاسيسها، من الخوف والكراهية والآمال و...؛ قد صوّر *رولان* الخوف والاضطراب الروحی عند أبطاله *لوس وبی‌ير* بجانب حبّهما لأنّه قد قام بوصف مشاهد الحرب وسفک الدماء والغارات الآلمانية وهجوم الأجانب علی بلده ويقوم بترسيم فضاء القصة متلائماً مع روح الشخصيات وشعورها بشكلٍ مغبرّ ومضطرب: «فی تلک الليلة فی منتصف مارس وبعد الخروج من المطعم، سمعا صوت صفّارات الإنذار وألجئا إلی أقرب ملاذ. كأنّهما كانا قد لاذا إلی هناک من العواصف الممطرة...؛ فكانا فی الرصيف المقابل وعلی بُعد عشرين خطوات من الملاذ يهتزّ كلّ شیء حولهما: رمی توهّج أحمر، مع صوت رهيب، مطر من الطوب الممزوق والزجاج المكسور إلی الأطراف. فألجئا إلی شقّ بيتٍ واتّكئا علی الجدار واحتضن كلّ منهما الآخر»(رولان، ١٣٦٤: ٩١).

يعبّر *نجيب* عن تأثير الزمن علی تشكيل نزعة الفكر والإقدام لدی الشخصيات وعلی تطوّرات العهد مع استخدام الشخصيات الديناميكية. فهو بسبب رسم شخصيتين *ياسين* و*فهمی* والقيام بالقياس بينهما كالأخوين فی عائلة واحدة، يعرّفهما إلی القارئ كشخصيتين تمتلكا آراء متباينة نحو الثورة المصرية علاوةً علی رسم نوع شخصيتهما المختلفة. لأنّه لا يمكن لأیّ قوّةٍ أن تبعد فهمی عن وظائفه فهو ما انسحب عن اعتقاداته

ولو خطوة واحدة(محفوظ، ١٩٩١، ج٢: ٥٣٨). فی حینٍ *یاسین* ما کان مهتمّاً بالسیاسة والثورة علی خلاف شقیقه «*یاسین* ما کان مهتماً بالأمور السیاسیة؛ لکن لئلا یحزن شقیقه *فهمی*، استخدمه کالتسلیة والترویح ووقف إلی جانبه إلی حدّ ما. تارةً کان یعلن عن رغبته فی السیاسة ویشارک فی آمال شقیقه بطریقة هادئة والسلبیة. فکلّ خالجته ینحصر فقط فی کیفیة التمتّع بالعیش»(نفس المصدر: ۴۸۷).

علی هذا الأساس یدین *نجیب* الرجال الفاسدین والمتهتکین فی حزب الوفد المصری وقد یمثّل بهذه الفئة من الرجال فی وجود *یاسین*؛ لأنّ حزب الوفد المصری أخذ یضعف بعد اتفاقیة ١٩٣۶م. المنعقدة بین مصر والإنجلیز(بشأن خروج الجیش البریطانی من مصر)(ایزانلو والآخرون، ١٣٩٢: ٣۵)؛ والکثیر من الشعب مثل *یاسین* یتأثر منه إثر التعامل مع القوّات البریطانیة: «*یاسین* ربّما أبغضهُ کما یُبغضهُ المصریّون جمیعاً، ولکنّهُ فی قرارة نفسه یَحترمهُ ویجلّهُ حتّی لیُخیّل إلیه کثیراً أنّهُ من طینة غیر طینة البشر... کیف یصدّق ما یُنسب إلیهم من الأعمال الوحشیّة؟! لماذا نفوا سعد *زغلول* إذا کانوا علی هذا الظرف کلّه؟!»(محفوظ، ١٩٩١، ج٢: ۵٢٣).

فلشخصیات *محفوظ*، خلافاً لروایة *رولان*، جوانب متناقضة ومتضاربة. فئة تکون نبیلة وثوریة وتنتمی إلی وطنها مثل شخصیة *فهمی* الذی یدخل ساحة النضال والسیاسة، وفئة تکون فاسدة مثل شخصیة *یاسین* الذی یعلن عن إنتماءه إلی الإنجلیزیین وقد ورث من أبیه الرغبة الشدیدة فی المجون. فبعض الشخصیات یعانون من إزدواجیة الشخصیة مثل *أحمد عبدالجواد* أب الأسرة، فهو ینجح أن یتّحد بین حیوانٍ خائض فی اللذات وإنسان ملتزم بالمبادئ والأصول الممتازة حتّی لا یرجح أیّ منها علی الآخر ویواصل کلاهما حیاتهما المستقلة فی الأمن والراحة(محمد سعید، ١٣٨٧: ١۴۴).

فهو یغضب بسبب مشارکة ابنه فی العملیات الوطنیة؛ لأنّ حب الوطن یجب أن یدمّر حینما یصل إلی منزله فیسعی حتّی ینمع فهمی عن عمله. فقد عبّر عن التأکید علی الثورة فی رأیه هکذا: «طالما ملأته أخبار الإضراب والتخریب والمعارک أملاً وإعجاباً، ولکنّ الأمر یختلف کلّ الإختلاف إذا صدر عمل من هذه الأعمال عن ابن من أبنائهِ ...؛ الثورة وأعمالها فضائل لا شکّ فیها مادامت بعیدة عن بیتهِ ...، فإذا طرقت بابهُ، وإذا تهدّدت أمنه وسلامهِ وحیاة أبنائهِ، انقلبت هوساً وجنوناً وعقُوقاً وقلّة أدب، فلتشتعل الثورة فی الخارج

وليشارک فيها بقلبه كلّه ... وقد فعل ولكنّ البيت له وحدهُ دون شريک»(محفوظ، ١٩٩١، ج٢: ٥٣٧).

نتيجة البحث

هذه الدراسة التى تمّت على ضوئها معالجة «بين القصرين» وهى رواية عربية *لنجيب محفوظ* و «جزيرة فى العاصفة» رواية للكاتب الفرنسى *رومان رولان* وفقاً للواقعية النقدية، أظهرَت لنا النتائجَ التالية:

- قد قام كلا الكاتبين بكتابة روايتهما مشيرين إلى الحرب العالمية الأولى وعلى أساس أسلوب واقعى، ويعتبران الحرب عامل التدمير والاضطراب واستفحال الأمر فى شعبَيهما. فيكشف *رولان* عن حادث ٢٩ مارس ١٩١٨م. الذى دمّرت القاذفات الآلمانية فيه كنيسة سان جربه بفرانسا وقتلت ١٦٥ نفراً. فهو يقوم بإدانة مُضرمى نار الحرب مستعيناً بوصف الجو المأساوى والأزمة الروحية التى أصيب بها بطل القصة. وكذلک *نجيب* يتحدّث عن تدخّل الإنجليز فى الشؤون المصرية والاستعمار الإنجليزى وفقاً للخلفية التاريخية؛ علاوة على هذا يشير إلى ثورة أكتوبر ١٩١٩م. التى وقعت فى روسيا والتى تنتهى إلى يقظة الشعوب إزاء قضية الحرّيّة، والإصلاحات، والتعديلات وحقهم فى تقرير المصير وأثّرت الحركة الوطنية على عقول الكثير من المثقّفين وانتهت إلى تشكيل الحزب الشيوعى سنة ١٩٢٢م.

- يصوّر كلا الراويين الأحداث ويقومان بإدانة الحرب ويبحثان عن السّلام وهذا الأمر برز بروزاً واضحاً فى رواية *رولان*، حيث إنّ احتجاج رولان إزاء الوحشية الآلمانية يؤدّى إلى أن يُعتَبَرَ خائناً. يعدّ *محفوظ* الإنجليز والمستعمرين الأخرين مثل أستراليا سبب إندلاع الحرب والدمار فى مصر ويدين بالأمم الغاصبة عاكساً مظاهرة الطلاّب فى جامعة الأزهر.

- قد انهى *رولان* مصيرة أبطاله إلى الحب الفاشل والمأساة إثر الحرب والتدهور؛ فهذا الأمر يكشف عن حياة الشعب الفرنسى المضطربة. فيقوم *نجيب* بتقرير الفشل فى الحبّ والحتف والشهادة فى مصير أحد أبطاله الوطنيين(*فهمى*) بسبب عصبيّات أبيه وشدائده المفروضة، مؤكّداً على الشخصية المصرية الخاصّة والانتماء إلى إحياء الجنسية المصرية بعيداً عن أية سلطة أجنبية. إنّ الحبّ الفاشل فى رواية *رولان* يُعدّ رمزاً للسلام والودّ،

والحرب ترمز إلی القسوة والوحشية وهدفها إنحاء الحرب والدعوة إلی السلام. قد شبّه *رولان* الحبّ بميناء فی البحر العاصف، فهو يلجأ إلی البشر وكذلک *نجيب* قد اعتبر عصبيّات الأب علی أسرته رمز الهيمنة الإنجليزية علی مصر.

- فی رأی كلا الكاتبين أنّ قسوة البرجوازية وأنانيتها أدّت إلی فناء آلاف من الأبرياء وأثارت آلاماً كثيرة. يكشف *نجيب* خلال روايته عن اعتقال زعماء الثورة المصرية من قِبل الإنجليز. فمن جهة أخری تنعكس ازدواجية الإيديولوجيا لدی بعض الأشخاص فی المجتمع إزاء الطبقة البورجوازية والاستعمار عن طريق الازدواجية الشخصية لدی بعض شخصياته الرئيسية مثل *أحمد عبدالجواد* و*ياسين*.

- قد عكس كلا الراويين حياة الطبقة الوسطی عن طريق خلق الشخصيات. فإنّهما قد انعكسا عواطف الشخصيات وأحاسيسها بواسطة التحليل النفسی علاوةً علی عرض أوصافها الظاهرية. قد عرض نجيب نوعاً مختلفاً من الشخصية(مثل *ياسين* و*فهمی*) خلافاً لرواية *رولان* ففيها تشبه الشخصيات بعضها بعضاً. قد عبّر *نجيب* عن تأثير الزمن علی تشكيل النزعة الفكرية وكذلک قد عبّر عن الآراء المختلفة لدی الأشخاص وموقفهم إزاء الثورة وتأثّر بعضهم بالإنجليز فقد قام بإدانتهم.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

باقری، حسنعلی. ۱۳۹۴ش، **جنگ جهانی اوّل(۱۹۱۴-۱۹۱۸م)**، طهران: کتاب سبز.

بوادفر، بیردو. ۱۳۷۶ش، **ادبیات داستانی فرانسه در قرن بیستم**، ترجمه خسرو سمیعی، الطبعة الأولی، طهران: مؤسسة نگاه.

بوتول، غاستون. ۱۳۸۷ش، **جامعه‌شناسی جنگ**، ترجمه هوشنک فرخجسته، طهران: علمی فرهنگی.

رولان، رومن. ۱۳۶۳ش، **جزیرة فی العاصفة**، ترجمه سیروس سعیدی، الطبعة الأولی، طهران: مزدک.

سید حسینی، رضا. ۱۳۸۷ش، **مکتب‌های ادبی**، الطبعة الحادیة عشرة، طهران: نگاه.

الشارونی، یوسف. ۲۰۱۰م، **رحلة عمر مع نجیب محفوظ**، القاهرة: المجلس الأعلی.

شلبی، عبدالعاطی. ۲۰۰۴م، **فن النثر الحدیث**، مصر: المکتب الجامعة الحدیثة.

شیری، قهرمان. ۱۳۸۵ش، **مکتب‌های داستان‌نویسی در ایران**، طهران: چشمه.

غرانت، دیمیان. ۱۳۷۹ش، **رئالیسم**، ترجمة حسن أفشار، الطبعة الثالثة، طهران: مرکز.

محفوظ، نجیب. ۱۹۹۱م، **المؤلفات الکاملة**، الطبعة الأولی، بیروت: مکتبة لبنان.

محمد سعید، فاطمة الزهراء. ۱۳۷۸ش، الرمزیّة فی آثار نجیب محفوظ، ترجمه نجمة رجائی، مشهد: جامعة فردوسی.

مدنی، بدرالدین. ۱۳۶۳ش، **رومان رولان؛ حیاته وآثاره**، الطبعة الأولی، طهران: شباهنگ.

منصور، محمّد. ۲۰۰۶م، **التجریب الروایی عند نجیب محفوظ**، الطبعة الأولی، قاهره: المجلس الأعلی للثقافة.

میرزایی، فرامرز. ۱۳۸۲ش، **نصوص الحیة من الأدب العربی المعاصر**، الطبعة الثانیة، طهران: جامعة أبوعلی سینا.

المقالات

ایزانلو، امید وحسن عبدالهی. ۱۳۹۲ش، «**الواقعیة فی قصص "مدیر المدرسة" لجلال آل أحمد و"زقاق المدق" لنجیب محفوظ**»، مجلة اللغة العربیة وآدابها، سنة۵، عدد۹، صص ۲۴-۴۳.